

التشكيل الصوتي في رسم دلالة التبليغ بالأنثى في سورة النحل: دراسة فونولوجية بإسقاط رياضي

Phonetic formation in drawing the meaning of the female notification in Surat An-Nahl: A phonological study with mathematical projection

د/ أسماء بن عيسى

جامعة عين تموشنت-بلحاج بوشعيب (الجزائر)، مخبر الخطاب التواصلية الجزائري الحديث،

asma.benaissa@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2025-07-03 تاريخ القبول: 2025-10-24 تاريخ النشر: 2025-12-20

ملخص: تسعى هذه الورقة البحثية إلى إعطاء الدرس الصوتي نفسا علميا جديدا؛ بناء على ما يتم تجسيده من رؤية بينية، تزوج بين الطرح اللساني ونظيره الرياضي؛ وذلك باعتماد النموذج القرآني لسورة النحل، التي ترسم في أحد مواضعها موقفا تبليغيا، يعكس دلالة التلقي للجنس الأنثوي؛ بغية تكييف تفسيرها الكلاسيكي الذي قدمه السلف مع ما أنتجه الفكر اللساني الحديث.

وهو ما يجسد الغاية من الدراسة، التي تطمح للوصول إلى نتائج علمية؛ إذ تكمن الجدة في إعطاء هذا العمل صبغة رياضية، تكشف عن دقة الدرس اللساني وانفتاحه على العلوم الدقيقة؛ في ضوء معطى الاحتمال الرياضي، ومن ثم تتميز عن التطبيق الفونولوجي المألوف، في عرض المعطيات الصوتية وتحديد دلالاتها داخل التركيب اللغوي.

كلمات مفتاحية: النحل؛ دلالة التبليغ؛ الأنثى؛ الفونولوجيا؛ الإسقاط الرياضي.

Abstract :

This research paper seeks to give the study of phonetics a new scientific spirit, based on the embodied interdisciplinary vision that combines linguistic and mathematical approaches. This is achieved by adopting the Qur'anic model of Surat al-Nahl, which, in one instance, depicts a communicative stance reflecting the significance of female reception. The aim is to adapt its classical interpretation, presented by the early Muslims, to the output of modern linguistic thought.

This embodies the purpose of the study, which aspires to achieve scientific results. The novelty lies in giving this work a mathematical character, revealing the precision of linguistic study and its openness to the exact sciences, in light of the given mathematical probability. This distinguishes it from the familiar phonological application of presenting phonetic data and determining their meanings within the linguistic structure.

Keywords: An-Nahl; meaning of notification; female; phonology; mathematical projection.

مقدمة:

تتميز اللسانيات بكونها أقرب العلوم إلى الدقة؛ وهو ما تؤكده تلك الصرامة في رصد بنية اللغة، التي يؤول وصفها إلى تحديد دقيق لنظام بنائها، الذي تتضافر من خلاله جوانب التشكيل بدءا بالمستوى الصوتي؛ بوصفه المستوى القاعدي، والذي عليه مدار هذه الدراسة؛ لبيان ما للهندسة

الصوتية من أثر عميق في تفعيل دلالة الخطاب الربّاني؛ كونه خطابا لغويا، مع مراعاة قدسيته التي تنأى به عن الخطابات ذات الطبيعة البشرية.

ويتمّ ذلك -كما أشرنا- ضمن أحادية التطبيق القائم على نموذج قرآني مفرد؛ من خلال إعادة رسم دلالة التبليغ، التي تعبّر عن المتلقّي الرافض للجنس الأنثوي، كما جاء في تقرير آية النحل؛ وهو ما من شأنه أن يعضد التخرّج الكلاسيكي لتفسير السلف بنفسٍ علميٍّ لساني حديث كهدف يطمح إليه هذا العمل.

وليس هذا فحسب بل نتبّع في ذلك وجهها من أوجه المقاربة اللسانية الرياضية؛ بإسقاط رياضي لنظرية الاحتمال في رسم معالم الدلالة الربّانية وتحديدها؛ إذ يتجسّد تصوّر الموضوع ككل ضمن نسق منهجي، يجمع بين الجانب النظري في عرض المفاهيم، ثم تطبيقها في الجانب العملي الذي يتمحور أساسا حول سؤال جوهري، مفاده: كيف تؤثر هندسة الصوت في رسم دلالة الرفض؟ وكيف يتمّ تأطير الجانب الدلالي اللساني بإسقاط رياضي؟.

ويقتضي الأمر قبل خوض غمار هذا التجديد أن نبسط للقارئ أرضية مفاهيمية، هي بمثابة المهاد الذي يضع المفاهيم المركزية للدراسة صوب عينيه، كيف! وهي التي تسهم في تأطير هذا الموضوع في تمفصلاته، وكذا الحفاظ على نسق تتبّع المتلقّي لمخرجات هذا التصرّو في التطبيق اللساني عموما، والفونولوجي بوجه خاصّ.

1.. العنوان الرئيسي الأول: التأسيس النظري للمفاهيم المركزية:

تكتسي هذه الدراسة شرعيّتها العلميّة كأّي دراسة لسانية من علاقة اللسانيات بالنص القرآني، إذ يقتضي التسليم القطعي بخصويته البحث الدائم عن مزايا فهمه؛ لاسيّما في علاقته بمجال التفكير اللغوي.

ومادامت كينونة الدرس اللغوي في وقتنا تراهن على هذا العلم؛ باعتباره قَمّة ما وصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة؛ لاسيّما وأنّ اللسانيات، قد أحدثت ثورة؛ بإعطائها دراسة اللغة طابعي العلمية والاستقلالية، فإنّه لا ضير من استثمار هذا العلم لبلوغ مخرجات التوظيف العلمي له ضمن سياق النسج القرآني.

فلا بدّ كما يقول أحد الدارسين: "مواصلة المسار الإبداعي في تناول النص القرآني، يتمّ ذلك بالاستفادة ممّا درّ به الفكر الحديث من جهة، وما توصّل إليه أهل التراث في هذا المجال من ثمانية؛ لأنّ

حضارة التطور لا تبنى على الهدم والإلغاء، بل تشيّد على المواصلة والتطور، يتمّ ذلك عن طريق تحديث أدواتنا ومناهجنا في دراسة النصّ القرآني، وعدم تعقيم فكرنا بالاكْتفاء بما سطره الفكر الموروث وكأنّنا قد وصلنا إلى منتهى المعرفة." (بن عيسى، 200، ص. 282)

وضمن هذا السياق الترابطي؛ فإنّ القرآن الكريم فضاءٌ خصبٌ لتلمّس جوانب التقسيم اللساني بشقّي أشكاله (صوتي، مورفولوجي، تركيب، دلالي)؛ ذلك أنه -كما أسلفنا الذكر- صناعة لغوية في شكله، فضلاً عن ما يميّز به من خصوصية المصدر، التي تجعل من البحث في هذه المعطيات اللسانية باباً من أبواب إعجازيته.

وعليه بعد إعطاء هذه الدراسة شرعيتها في تكييف الخطاب القرآني لسانياً؛ فإنّ هذا التكييف المعوّل عليه، يبيح تجسيد موضوعها الذي يرسو على مفاهيم مركزية؛ بحيث تنصّد هذه الجزئية إلى ضبطها؛ من خلال التأسيس النظري لها، قبل الولوج بها إلى معترك التطبيق.

لتنوّع هذه المفاهيم على نمطين أساسيين؛ يشمل الأوّل ما يتعلّق بمرتكزات الدراسة التي تخضع للتطبيق، ويراد بذلك الفونيم في إطاره الفونولوجي، بينما يشمل الثاني ما يحدّد طبيعتها وهو الجانب الرياضي؛ نتيجة الاستئناس بالاحتمال كمعطى منهجي في بلوغ الهدف المنشود من هذا البحث.

1.1.. الفونولوجيا والفونيم:

تقوم الدراسة على تيمة الفونولوجيا الجوهرية، بموضوعها الأساس الفونيم؛ بوصفه العنصر الفاعل في بناء الكلام، ليستقرّ مصطلحاً رئيساً لهذا الفرع من الصوتيات توظيفاً ودراسة.

1.1.1.. في ماهيّة الفونولوجيا:

الفونولوجيا أو علم وظائف الأصوات جانب علمي من الدراسة اللسانية، الذي "يدرس الصوت الإنساني في تركيب الكلام." (نور الدين، 1992، ص. 24)؛ فهي إذن تتعامل مع الصوت بحثاً عن وظيفته داخل البنية اللغوية، بخلاف الفونتيك التي تتناوله في شكله المادّي أو الفيزيائي المجرّد.

2.1.1.. في ماهيّة الفونيم:

تتباين تعريفات الفونيم **phonème** من قبل الدارسين وتنوّع؛ وذلك لاختلاف وجهات النظر إليه بين العقلي والمادّي والوظيفي والتجريدي، ولعلّ ما يعنينا منها هو الوجهة الوظيفية التي تسود أكثر في كتابات اللسانيين العرب في تلقّيم لهذه النظرية، إذ يعرف بأنّه "أصغر صوتية، عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني." (عمر، 1985، ص. 151)

فالفونيمات من هذا المنظور، تمتلك قيمة وظيفية تمييزية، تقوم بها تلك الوحدات الصوتية الصغرى في اللسان المدروس؛ والتي هي أساس أهمية هذا المفهوم وشيوعه في الدرس اللساني.

2.1.. الاحتمال الرياضي:

يتأسس الاحتمال الرياضي كمعطى رئيس أيضا؛ باعتباره أداة التجديد في مقارنة التصور الدلالي للفونيم؛ عوض الربط الصوتي المباشر بالدلالة المركزية؛ ذلك أنّ الإسقاط الرياضي هنا، يفتح باب التأويل الدلالي واسعا؛ باستثمار معطيات الخصائص الصوتية للفونيم الواحد، فيستقرّ الاحتمال أداة فعّالة ومنهجية في تنظيم عملية التفاعل الصوتي الدلالي.

وهو ما يجعل من القرآن الكريم -بالنظر إليه كمدونة لسانية- راها قويا، يثبت مدى مساهمته للعلوم، لاسيما وأنه نصّ مثالي لا يأتيه الباطل، ليستري اهتمامنا أكثر من أي نصّ آخر؛ وهو ما يبرّر اختياره لاختبار هذا التصور البياني.

وعليه "لهندسة الموضوع رياضيا؛ فإننا نمثل له بمثال قطعة النقود، فأنشاء رمي هذه القطعة في الهواء، نحصل على ناتج التجربة؛ إما ظهور الصورة H أو الكتابة T، لنعبر عن فضاء التجربة بالشكل التالي:

$$S=\{T, H\}$$

فالرمز المعبر عنه بـ "s"، يمثل space of experiment الذي يضم الاحتمالات الممكنة للتجربة، التي تتجاوز الشكل في المثال إلى المعطيات الصوتية في الوضع اللساني. (بن عيسى، 2024، ص.14) ومن ثم؛ يحوي فضاء التجربة ذات الطبيعة اللسانية، ناتج الخصائص والصفات الصوتية المحددة سلفا لكل فونيم؛ بحثا عن دلالاتها الوظيفية داخل بنية الآلة النموذج؛ وفقا لمنطق التجربة العشوائية، الذي تقوم عليه نظرية الاحتمال في تصورها الرياضي الأصلي، والتي نستثمرها في هذا البحث؛ من خلال مفهومين أساسيين هما: الفضاء العيني والحدث.

فالأول فضاء يضمّ كلّ النتائج الممكنة لتجربة عشوائية. (القبانجي، 2012، ص.59)، أمّا الحدث event، فإنّه عند إجراء تجربة عشوائية يمكن أن يكون اهتمامنا موجّها إلى نتيجة ما محدّدة من النتائج الممكنة للتجربة، أو إلى عدّة نتائج. (القبانجي، 2012، ص.62)

وعموما إذا كانت قيمة هذا المفهوم في الرياضيات، ترتبط بتوقع النتائج الممكنة من التجربة العشوائية؛ فإنّه بإسقاط هذا الشكل العلمي على الدرس اللساني الفونولوجي؛ بتوقع طواعية

الخصائص الصوتية في خدمة الدلالة المركزية؛ فإنّ الاحتمال يسلك مسلك التسهيل لذلك، وقس عليه كلية السورة ، وكذا القرآن إجمالاً.

2.. التشريح اللساني للآية النموذج من منظور فونولوجي رياضي:

بناءً على معطيات التنظير السابقة؛ لاسيّما في شقّها الثاني المميّز لهذه الدراسة؛ فإنّنا نراهن على هذا تصوّر؛ أي الاحتمال في فكّ الشفرة الفونولوجية لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ النحل 58؛ بكيفية لسانية رياضية؛ بما يوافق دلالاتها المركزية من جهة، و يعضد مخرجات التفسير الكلاسيكي لها من جهة أخرى.

فقول الحقّ تبارك وتعالى، يستوي على مجموع صوامت، تشكّل قوام الآية في بنائها اللساني الصوتي؛ وما يصاحب ذلك من صوائت على قلّتها طولا، ووفرّتها قصرا؛ إذ غايّتنا أن نلامس هذا التشكيل الفونيمي من منظور رياضي؛ برصد المعطيات الفونولوجية للآية؛ و من ثمّ اعتماد الاحتمال محرّكا أساسيا في تفاعل عناصر هذا الاتساق الصوتي مع مقصدية الخالق عزّ وجلّ.

فالفونيم له تأثيره في "تشاكل الأبنية اللغوية واللسانية؛ وعلى هذا النحو كان بدا، لتأويل كل تفاعل فونولوجي من مراعاة للخصائص الفونيمية الكميّة لأيّ فونيم، سواء أكان صامتا أم صائتا، وذلك بما يحوي من الخصائص المخرجيّة والفيزيائية التي تحقّق له شيئا من التفاعل الدلالي؟" (مرني صنديد، 2019، ص.112)

2-1.. أثر الصوامت في التخرّيج الدلالي الأنثوي:

في الآية من الصوامت ما يجانس دلالتها؛ بناءً على خصائص كل صامت النطقية والفيزيائية، والتي تتواءم رياضيا مع دلالة التبليغ والتلقي المركزية؛ ما يضيفي مسحة علمية على فهمها إلى جانب تفسير السلف، وفيما يلي تطبيقٌ على بعض الصوامت على النحو الآتي:

2.1.1 فونيم الواو:

ورد فونيم الواو في الآية 5 مرّات، وهو "صوت مجهور (...) يتمّ نطقه بأن تضمّ الشفتان." (مزبان، 2003، ص.59)، إذ يؤول اعتماد التجريب الصوتي رياضيا، وفق معطى الاحتمال إلى تشكّل الفضاء الصوتي الاحتمالي الآتي:

$$S = \{\text{ضمّ الشفتين، الجهر}\}$$

وهو ما يجعل من الحداثين دليل توافق لسانی تفسيري؛ إذ يوافق ضمّ الشفتين تضام موقف الرفض مع تصوّر الكفار المتناقض؛ باعتبار السياق الذي يجاور الآية في ما قبلها، والتي لا يستوي فهمها بدونه؛ ويؤكد ذلك خصيصة الفونيم النحوية.

فالواو -كما هو شأن إعرابها- في هذا الموضع "حالية من ضمير يجعلون (...)" أي كيف يستسيغون نسبة البنات إليه تعالى وهذه حالتهم. (الدرويش، 1992، ص. 320)؛ ليعكس هذا الاتساق الشكلي بواسطة الواو بميزتها الصوتية كفونيم، فضلا عن دلالتها النحوية كحرف يتصدّر الآية ربطا تضام موقفين؛ إذ "يجعل الكفار لله البنات، فيقولون: الملائكة بنات الله، تنزه الله عن قولهم (...)" وإذا جاء من يخبر أحدهم بولادة أنثى اسودّ وجهه؛ كراهية لما سمع، وامتلا غما وحزنا. (نخبة من العلماء، د.ت)، ص. 273)

ففي الآية مجارة، يعكسها التوافق الصوتي الفونولوجي رياضيا مع تفسيرها الدلالي الكلاسيكي، ويضاف إلى طواعية المخرج خاصية الجهر، التي تستوي في توجيهها مع موقف التبشير بالأنثى؛ ففي الجهر قوّة؛ ما من شأنه أن ينصهر دلاليا كنظير احتمالي ثانٍ في رسم الدلالة مع قوة الخبر التبليغي، لاسيما وأنّ الفونيم يقترن في موضعه الثاني بلفظ الوجه؛ بوصفه الشاهد الأساس الذي يضم إليه الدلالات، التي تعكس قوّة الموقف من اسوداد وكظم.

وعلى نسق هذه المجارة تنساق باقي الصوامت في تفعيل هذا التواشج؛ ضمن رؤية دلالية نظفر بها من مخرجية وخصائص كل من الباء والشين واللام والنون والراء؛ لنوطرها تأطيرا رياضيا في سياق إضفاء الصبغة التجديدية على الدرس الفونولوجي.

2.1.2.. فونيم الباء:

ورد مرتين (2)؛ إذ يحمل بعضا من خصائص سابقه، فهو صوت "مجهر انفجاري (...)"، يتمّ نطقه بضمّ الشفتين "مزبان، 2003، ص. 59)؛ لينحو نحو تفسيره أيضا في تخريج الضمّ، فضلا عن صفة الجهر التي تميّزه.

وذلك ضمن إطار تجريبي، يمثّله فضاء التجربة نفسه؛ فيجعل من هذا الفونيم يعطي بدوره مسحةً لسانيةً رياضيةً على الآية، فضلا عن ما يُزاد إليه من وصف مخرجي آخر، يلقي بظلاله؛ من منطلق ما يحدث أثناء نطق الباء من "رفع للطبق، ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفي." (مزبان، 2003، ص. 59)، فيتسع فضاء التجربة في شكله الآتي:

$S = \{\text{ضمّ الشفتين، الجهر، الغلق الطبقي}\}$

فيقابل هذا الغلق استغلاق من نوعه في الآية؛ إذ أطبق حال العرب -في سخطهم وجزعهم- على عقلهم وغلقه؛ بتفكيره المنافي لمشيئته تعالى في انتقاء الرزق من البنين والبنات؛ ومن عجائبية التوظيف أنّ هذا الفونيم؛ بما يحمل من معطيات صوتية مع إسقاطاتها الرياضية على الآية، قد ورد في اللفظين الأساسيين هما "بشّر" و"الأنثى" المقرون بحرف الجرّ.

وهنا يمكن الاستئناس أيضا بهذا الجرّ، ويطلق عليها بعضهم حروف الإضافة، كما قيل؛ لأنها "تضيف الأفعال إلى الأسماء أي توصلها إليها، و"من هذا سمّيت حروف الجرّ؛ لأنها تجرّ معناها إليها." (الرضي، 1996، ص. 1134)

و بانزياح هذا المعنى النحوي إلى التوظيف المجازي، الذي يخدم دلالة الآية في جملتها، يمكن القول؛ ليقترن هذا الجرّ بتصوّر الرفض، الذي يقرن ولادة الأنثى بما تجرّه من عار وتضيفه إليه بين أقرانه.

3.1.2.. فونيم الشين:

ورد مرّة واحدة في الآية، وهو صوت "مهموس" (مزبان، 2003، ص. 65)؛ يحدث عند النطق به "عدم اهتزاز الوترين الصوتيين" (مزبان، 2003، ص. 65)، وباعتماد التجريب الصوتي الرياضي في تكييف هذه الخصائص مع الدلالة المركزية؛ فإنّ فضاء التجربة كالآتي:

$S = \{\text{ثبات الوترين، الهمس}\}$

فدلالة الفونيم بحدّته الأوّل تتلاءم مع الشاهد الوحيد (بشّر)، وهو الحامل للشين؛ ما يجعل الاحتمال الرياضي في عشوائية تجربته القائمة على اختيار الوصف الصوتي، يعضد التخرّج الدلالي الكلاسيكي المباشر؛ ويؤكد ذلك تفسير السعدي (2005) بقوله:

"فكان ﴿إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الغمّ الذي أصابه ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي كاظم على الحزن والأسف (...) وحتّى إنّهُ يفتضح عند أبناء جنسه ويتوارى منهم من سوء ما بشّر به." (ص. 471). فوجه الدلالة هنا من قبيل المطابقة بين ثبات الوترين الصوتيين وثبات المتلقّي في موضعه خوفا من بيئته بعد التبشير.

وعن حدث الهمس الذي هو دليل صوتي على الضعف؛ ما يجعل هذا الوصف قرينا لموقف الرفض من باب التقريب أيضا؛ فتطابق همسية الفونيم ضعف المُبشّر؛ ذلك أنّ ولادة الأنثى هي ضعفه، وملامح هذا الضعف بادية آثارها على وجهه؛ أي "متغيّرا، وَلَيْسَ يُرِيدُ السَّوَادَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ

الْبَيَاضِ، وَإِنَّمَا هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ غَمِّهِ بِالْبِنْتِ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَ مَكْرُوهًا: قَدِ اسْوَدَّ وَجْهُهُ غَمًّا وَحُزْنًا. (القرطبي، 1935، ص116)

4.1.2.. فونيم اللام:

ورد هذا الفونيم مرّة واحدة مشدّداً، وهو صوت "مجهور" (مزبان، 2003، ص.63) في نطقه، فضلاً عن خاصية التفخيم التي تطبعه في اللسان العربي؛ ليقترن في تأويله بوصف ما بعد التبليغ؛ وذلك اعتماداً على خاصية النطق الجهرية، التي تشكّل حدثاً أولاً نراهن عليه، ثمّ الحدث الثاني التفخيمي، فيجتمع في الفضاء التجريبي الآتي:

$$S = \{\text{الجهر، التفخيم}\}$$

فالحدث الأول لا يخرج عن مركزية الدلالة في الآية كما في سابقه، وما يليه من فونيمات، ليتّسع التأويل مع الحدث الثاني التفخيمي؛ ذلك أنّ "الأصل في اللام العربية (الترقيق) (مزبان، 2003، ص.63)، ويفخّم في حالات.

فيقارب اقتران التفخيم بما قبله من الإطباق المائل في الظاء قوة وضخامة الموقف؛ لشدّة ما يحمله من التبليغ للجنس الأنثوي المرفوض في عرف الجاهلي وتفكيره، وهو ما أطبق على نفس هذا المتلقي؛ فأصابه من الهمّ والغمّ ما لم يستطع إخفائه، بل بدا جلياً على وجهه.

ومن باب آخر نستأنس أيضاً بما ذكر من التشديد على الفونيم النموذج في نطقه؛ ليعضد فكرة القوّة وهول الموقف في صلته بالفكر السائد آنذاك؛ فقد جاء حرف اللام مشدّداً، في ارتباطه بما بعد التبليغ؛ ليعادل هول الخبر وشدّته.

5.1.2.. فونيم النون:

النون صوت مجهور، يحدث عند النطق به "أنّ طرف اللسان (...)" يلتقي مع اللثة فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم. (مزبان، 2003، ص.64)؛ ولعلّ في هذا الوصف ما ينساق وراء تأويل خاص أيضاً، يوافق دلالة الآية، نحو توظيف الفضاء التجريبي الآتي:

$$S = \{\text{الجهر، المنع}\}$$

وقد ورد مرّة واحدة في الشاهد الأنثوي الأصل؛ أي لفظ الأنثى الذي تدور حوله مركزية الآية، ليتجانس الحدثان معاً في تشكيل مناسبة دلالية، يجتمع فيها الجهر بالمنع؛ ذلك أن وجود الحدث الأول الاحتمالي يتبعه الثاني حتماً في المجتمع العربي القبلي الرافض؛ إذ بمجرد الجهر؛ أي

إعلان الخبر لصاحبه، يتلوه رفض ومنع لاستمرارية الجنس الأنثوي لدرجة الواد كقضية تتصدّر القضايا الشائعة في المجتمع الجاهلي.

6.1.2..فونيم الراء:

ورد مرّة واحدة، وقد نجد لهذا الفونيم فضاء التجريبي الخاص، والذي يتشكّل بناءً على حدثين مهمّين من خصائصه النطقية؛ وذلك على النحو الآتي:

$$S=\{\text{الجر، الضرب}\}$$

فالجر هنا لا يختلف عن مواطن ذكره السابقة في توظيفه، الذي يناسب الآية القائمة في أصلها على جهر الجنس لصاحبه وإعلانه له، ويُردف بسمة الضرب التي تندرج ضمن خصائص النطق بهذا الفونيم؛ ذلك أنه يحدث عند النطق به أن يرفرف اللسان، و"يضرب طرفه اللثة ضربات متكرّرة مع اهتزاز الأوتار الصوتية." (مزبان، 2003، ص.64)

فيقابل الحدث الثاني على سبيل الافتراض موقف المتلقي؛ لاسيّما في ظلّ ما يحيل عليه نطق هذا الفونيم من تحريك متكرّر، يشي بالاضطراب والحركة التي قد تصيب المخاطب عند تلقيه خبر الجنس الأنثوي؛ وذلك قبل أن ينزوي، وينطوي على نفسه هروبا من بيئته التي تعزّز تصوّره.

2-2.. أثر الصوائت في التخرّيج الدلالي الأنثوي:

للحركات نصيبها أيضا في هذا التخرّيج الدلالي؛ وذلك على شاكلة الصوامت في طواعيتها للتصوّر الصوتي الاحتمالي بدءا بالقصيرة منها؛ محاولين بهذا استثمار جانب آخر من الخصائص، يرتبط بدلالة كل صائت من هذه الصوائت، وإسقاطه رياضيا على النموذج القرآني كالآتي:

1.2.2..صائت الضمّ:

ورد الضم في الآية 10 مرات؛ باعتبار التكرار في آخر كلمها؛ إذ "ينبئ عن الضيق والقلّة والتمكّن والقوّة والدوام والثبات." (الشدوي، 1431هـ، د.ص): ليتشاكل في إسقاطه الرياضي مع الآية دلاليا، بناء على فضاء التجربة المكوّن من خاصيتين هما :

$$S=\{\text{القوّة، الثبات}\}$$

فتشكّل كل خاصيّة حدثا احتماليا بعينه؛ فيدلّ الحدث الأوّل في تشاكلة على قوّة الصائت كنظير لقوّة المبشّر به الذي يعدّ جرما -إن صحّ وصفه -أو عارا في تصوّر العربي، وينحو بدوره الثبات نحو تقاطعه مع ثبات المتلقي للخبر الأنثوي، كما -أشرنا سابقا -في الصوامت، ليتوارى عن أبناء جلدته؛ مادام الثبات في مستقرّه قد يخفف عنه العار الذي يزعم.

ومن التناسق العجيب استقرار الضمّ في مواضع دقيقة من الآية؛ وهي جلّها مفاتيح دلالتها؛ سواء في الفعل النحوي "بُشِّر" الذي عليه مدار الفعل التبليغي، أو في "أحدهم"؛ ذلك أنه قطب العملية الأساس؛ باعتبار التبليغ يقتضي باثنا، وكذلك الأنثى وهي التيمة الأصل، فضلا اقتران الصائت بردّ الفعل ووسيلة بيانه (وجهه، مُسودّا، كظيم).

2.2.2..صائت الفتح:

ورد في الآية 16 مرة (بمراعاة التكرار)، إذ "ينبئ عن الكثرة، ويشار به إلى السعة". (الشدوي، 1431هـ، د.ص)؛ ليلقي كلّ حدث من هذين الاحتمالين بظلاله على دلالة الآية التبليغية؛ بالاستناد رياضيا إلى الفضاء التجريبي الآتي:

$$S=\{\text{الكثرة، السعة}\}$$

وهنا أيضا تنسيق عجيب للكمّ؛ ذلك أنّ الفتحة أكثر الصوائت القصيرة ورودا في الآية مقارنة بالضم والكسر؛ لتتناسب كثرتها مع الحدثين المشار إليهما، وباقتران الأخيرين كفونيم مع الدلالة المركزية؛ فيمكن القول أنّ الكثرة تلائم كثرة الهم والغمّ التي أصابت المبشّر بأنثاه، ضف إلى ذلك سعة الموقف الذي يشمل بيئته، ولا يقف عند حدود موقفه؛ بدليل تواريه، وقد يفكر في لحظات التواري- بغضّ النظر عن طولها أو قصرها - بما سيفعل بجنسه، وما أكثرها القبائل- على سعة العرب وامتدادهم- التي مارست فعلها الشنيع وأدا للأحياء منهم.

3.2.2..صائت الكسر:

ورد هذا الصائت 5 مرات؛ باعتبار التشديد في حرف الشين عند فكّ ادغامه؛ إذ يدلّ هذا الصائت على "التواضع واللين والرقّة وإظهار الضعف". (الشدوي، 1431هـ، د.ص)؛ وهو ما يجلب له من التقاطع الدلالي مع الآية النموذج، بناءً على حدثي اللين و الضعف في تشكيلهما الفضائي الاحتمالي الآتي:

$$S=\{\text{اللين، الضعف}\}$$

فالضعف له ما يوازيه كحدث لازم للدلالة المركزية؛ ذلك أنّ اسواد الوجه والكظم علامة على ضعف لحظي بخلاف القوّة؛ وهذا في تلاؤمه مع خبر التبليغ بالجنس الأنثوي، وما أحدثه في نفس المتلقي، وإن جرّدناه من الجانب التبليغي، وربطناه بعموم الوضع؛ فإنّ الأنثى هي ضعف العربي في جاهليته، وهو ما يقودنا للحدث الثاني .

فالفرد الجاهلي يستمدّ عزمه وخشونته من جنس الذكور؛ والأنثى -أخذاً بتصوره- ضعيفة؛ ومن ثمّ تجعل منه لئناً، ويسوء أكثر إذا ألحقت به عارا في قبيلته؛ وهو ما يجعل منه حكماً مسبقاً يبرّر سبب الرفض إلى جانب دوافع أخرى في هذه القضية الشنعاء؛ منها الفقر الذي يضعف القوة أيضاً بقلّة المال والجاه.

ومن جهتها الصوائت الطويلة تنحو نحو التجانس رياضياً مع الآية، في صورة الياء الطويلة في لفظ "كظلم"، فهي صوت مدّي يقترن بصيغة صرفية بعينها في الآية. ليشمل فضاء التجريب حدثين احتماليين، في علاقتهما برسم دلالة التبليغ بالأنثى كالآتي:

$$S=\{\text{المدّ، المبالغة}\}$$

فهذا الحدث الأوّل الطولي المدّي؛ يناسب مدّ حالة المتلقّي، كما تصفها الآية في شقّها الثاني؛ عبر قرينة الفعل "ظلّ" الذي يحدّد زمنية ردّ الفعل بعد تلقي خبر التبشير بالأنثى، أمّا المبالغة كحدث احتمالي ثاني؛ فإنّها تعادل المبالغة في تصوّر الجنس الأنثوي تصوّراً شنيعاً، يقرنه بأحكام مسبقة من عار وفقر؛ ومن ثمّ طول الصائت في هذه الصيغة؛ يناسب مبالغة الكظم، والتي هي في أصلها نتاج المبالغة في تصوّر السلي.

تلك إذن بعض الشذرات من التطبيق الفونولوجي بكيفية لسانية رياضية، تنظّم عملية الربط بإحكام بين المعطيات الصوتية والآية النموذج، في محاولة منّا لتقديم هذا القالب العلمي الذي يسلك مسلك الدقّة في الإمام بدلالات النص القرآني كنص مثالي، ارتأينا التطبيق عليه صوتياً رياضياً؛ لاسيّما في ضوء أهميّة الدراسات البينية.

3.. خاتمة:

بعد هذه الوقفة العلمية الدقيقة على نصّ القرآن الكريم، في نموذج المفرد، الذي يخضع للتشريح الفونولوجي؛ بكيفية تكتسي نوعاً من الجدّة؛ فإنّنا نصل إلى النتائج الآتية:

- يتبيّن من خلال الدراسة مدى انفتاح الدرس اللساني على معطيات العلوم الدقيقة.
- يمتلك الدرس الصوتي الفونولوجي طواعية كبيرة في تقبّل نظرية الاحتمال الرياضي.
- يشكّل القرآن فضاءً خصباً لممارسة الجدّة بما يعضد التفسير الكلاسيكي له.
- تطبيق النظريات العلمية على النصّ القرآني المثالي لا يمسّ شيئاً من قداسته؛ بل يزيد من إثبات إعجازيته.

-أعطت نظرية الاحتمال للمقاربة الصوتية الدلالية طابعا علميا، يكسر تلك الرتابة في الربط المباشر بين المعطى الصوتي والدلالة المركزية لنموذج الاشتغال.

وختاما؛ فإنّ هذه الدراسة ساهمت بشكل متواضع في بناء معالم نظرية "الاحتمال الصوتي الرياضي"، وهي نظرية نشغل عليها على مدار سنوات تطبيقا على الدرس اللساني، ونسعى إلى تطويرها بشكل أعمق في بحوثنا.

وبناء مثل هذه التصوّرات؛ ليفتح الباب أمام الباحثين لإفادة هذا المجال، فتحظى اللسانيات بالانفتاح أكثر على البحث العلمي الدقيق، فتشتدّ همم الدارسين من أجل المساهمة بقوة في تطويرها وإثرائها.

4.. قائمة المصادر والمراجع:

1. الدرويش، معي الدين، (1992). إعراب القرآن وبيانه، (ط3). دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
2. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (2005). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآن، (د.ط.). دار الحديث، القاهرة.
3. الشدوي، محمد عبد الله (1431/06/1 هـ)، اللغة العربية : الحركات والسكون — المعاني والدلالات، <https://www.manhal.net/art/s/24910> (2025/7/1)
4. عمر، أحمد مختار، (1985). دراسة الصوت اللغوي، (ط3). عالم الكتب، القاهرة.
5. بن عيسى، أسماء، (2024). الخطاب القرآني وفونولوجيا التفسير الصوتي- نحو دراسة ألسنية رياضية في ضوء نظرية الاحتمال الرياضي، (ط1). ألفا للوثائق للنشر والتوزيع، الجزائر.
6. بن عيسى، عبد الحليم، (2003). اللسانيات والنصّ القرآني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، مج2، ع2، ص.ص 278-315.
7. القبانجي، علاء الدين، كمرجي، حسام حمادة، (2012/2011). الاحتمال والإحصاء، (د.ط.). منشورات جامعة دمشق، كلية الهندسة الميكانيكية والكهربائية.
8. القرطبي، أبو عبد الله، (1935). الجامع لأحكام القرآن، (ط2). مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
9. مرني، صنديد، محمد نجيب، (2019). كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص - قراءة في إعادة إنتاج الدلالة من تفاعل العناصر اللسانية، مجلة إحالات، الجزائر، مج1، ع3، ص.ص 109-129.
10. مزبان، علي حسن، (2003). علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، (ط1). دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.
11. مصري، يحي بشير، (1996). شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، (ط1). الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
12. نخبة من العلماء، (د.ت.). التفسير الميسر، (د.ط.). دار ابن الجوزي، القاهرة.
13. نور الدين، عصام، (1992). علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، (ط1). دار الفكر اللبناني، لبنان.